جوانب من عبقرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في إدارة الدولة الإسلامية

بحث من إعداد

دكتور

أحمد ربيع أحمد إسماعيل

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد بكلية العلوم والآداب بمحافظة

عقلة الصقور – جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

هذا البحث إشارة إلى دلائل توضح منهج وعبقرية عمر في إدارته للدولة، وتميزت بها شخصيته ﷺ، ففي كل موقف نجد الرأي السديد، والتخطيط الاستراتيجي، الذي يستشرف المستقبل، ولا ينسى الماضي، ويضع الحاضر بين يديه. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل بوضوح على قوة الشخصية الموهوبة، ومدى الاستفادة من تجارب الآخرين، ومهما كتب المرء عن عمر بن الخطاب ﷺ وعبقريته ومنهجه المتميز في إدارة الدولة الإسلامية فلن يوفيه حقه.

Abstract

This research is a reference to the evidences that: illustrate the approach and genius of Omar Ibn Al-Khattab (God bless him) in his rule of the Islamic State, and that characterized his personality. In every position, we find the good opinion, the strategic planning; which looks forward to the future and does not forget the past, and considers the present. If this indicates anything, it shows a clear indication of the strength of the gifted personality and the extent of benefiting from the experiences of others. Whatever one writes about Omar and his genius and outstanding approach in the administration of the state will not give him his right.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ورضي الله عن خلفائه وصحابته أجمعين، أكرمهم الله بصحبته، حتى نهلوا من معينه الذي لا ينضب في كل فنون الإدارة والقيادة.

إنّ علم الإدارة قد تطور، وبان طريقه، خاصّة بعد أن اتجه إلى الإنسان، واعتبره محور الحركة، وعمود رحاها.

في هذا البحث، أريد أن أقف عند تاريخ رجل، له في الإدارة باع، وفي فنونها نظريات، قبل أن يدوّن العالم سطراً في ذلك؛ ولكنها هبة الله –سبحانه وتعالى– التي أودعها في سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ فأصبح رجل المهمات، والأزمات التي ما أشكل فيها أمر إلا وقال قولاً فصلاً، ووجد لها أنجع الحلول حتى جاء القرآن مؤيداً له في كثير من المواقف مثل؛ حادثة أسرى بدر وغيرها.

تربى عمر في مدرسة سيد الأولين والآخرين، مدرسة النبوة التي منهجها القرآن. وتربى في هذه المدرسة، وتعلم فيها كل فنون القيادة، والريادة، وبرز في الجانب الذي اشتهر به، فما ذكرت الدواوين إلا وذكر عمر، وما ذكر العدل في تقسيم الثروات إلا وذكر عمر، وما ذكر التاريخ الهجري إلا وذكر عمر، وما ذكر الرأي الصائب إلا وذكر عمر، وهكذا كان عمر المعدول عن عامر نحواً ومعنى، والفاروق لقباً دلالة التفريق بين الحق والباطل، إشعاراً بالمدح.

إن مدرسة النبوة قد أنجبت، وخرّجت أفذاذاً أمثال عمر، الذي ما سلك طريقاً إلا وسلك الشيطان طريقاً غيره.

إن الإداريين يتكلمون في نظرياتهم عن وقت كان الناس يقولون هل الإدارة علم أم فن أم كلاهما معاً؟ إلى أن حسم الأمر، واتفق علماء الإدارة على أنها

فن وعلم؛ لكن عمر ﷺ جمع الأمرين في بوتقة واحدة؛ حيث أخذ من تجارب العرب وإدارتهم لمواردهم المختلفة، وكذلك من الاختلاط مع الفرس والروم، فكانت تلك هي العلوم المكتسبة، (وقد كان ممن تعلموا القراءة وهؤلاء كانوا قليلين جداً)(١) لكل هذا أثر كبير في نجاحه، وقد زينت شخصيته العبقرية التي اجتمعت فيها معظم المهارات المطلوبة من قوة، وأمانة، وصدق، وشورى في صنع القرار، وشجاعته اتخاذه وتصويبه نحو المطلوب في الوقت المحدد. زينت هذه المكتسبات التي كانت نادرة في ذلك الوقت شخصية عمر الإدارية.

كان عمر أقوى الرجال شكيمة، وأشدهم بأساً، وأسدّهم رأياً، وأكثرهم مشورة لمن كان معه، حتّى أضحى مضرب المثل في المواقف والإدارة، رحمه الله رحمة واسعة.

(١) فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ﷺ، الدكتور علي محمد محمد الصلابي – دار الفجر للتراث، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م، ص١٩

المطلب الأول
لمحات من حياة عمر قبل الخلافة

١- ترجمة عمر ﷺ:

النسب والمولد:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزيز بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، وكنيته أبو حفص؛ ولقّبه الرسول ﷺ بالفاروق، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم(١).

وروى عن عمر أنه قال: (ولدت بعد الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين)، وذلك قبل المبعث بثلاثين سنة(٢).

أولاده وزوجاته:

كان له من الولد عبد الله، وعبد الرحمن الأكبر، وحفصة، وأمهم زينب بنت مظعون، منهم أيضاً زينب وزيد الأكبر وأمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت الرسول ﷺ.

وزيد الأصغر وعبيد الله –قتلا يوم صفين مع معاوية– وأمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك. وعاصم أمه جميلة بنت ثابت، وعبد الرحمن الأوسط، وهو أبو المجبر وأمه لهية أم ولد، وعبد الرحمن الأصغر وأمّه أم ولد. وفاطمة وأمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام. وزينب وهي أصغر ولد عمر وأمها فكيهة أم ولد، وعياض بن عمر وأمه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.

---

(١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري – مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط٢ ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، ج٢، ص٥٦٢

(٢) المرجع السابق، ص٥٦٣

ويذكر التاريخ أم عاصم بن عمرو كان اسمها عاصية، غيّره النبي ﷺ، وسمّاها جميلة فقال ﷺ: (أنت جميلة)(١)، وفي هذا دلالة على تغيير الرسول ﷺ للأسماء التي كان مدلولها ليس جميلاً.

٢- إسلام عمر:

كان عمر من أشراف قريش، يفاخر بها وتفاخر به، ويدافع عنها ويذود عن حياضها؛ فكانت قريش تتخذه سفيراً، (وإن نافرهم منافر أو فاخرهم رضوا به وبعثوه منافراً ومفاخراً) (٢).

أسلم في السنة السادسة من النبوة وهو ابن ست وثلاثين سنة.

كان النبي ﷺ يقول: (اللهم أعزّ الدين بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام)(٣) يعني أبا جهل.

وقد روى في إسلامه عن ابن عباس ﷺ أنه قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة، ثم إن عمر أسلم فصاروا أربعين فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(الأنفال: ٦٤)، ذكر أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسلم قال: قال لنا عمر بن الخطاب: أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامي؟ قلنا: نعم قال: (كنت من أشد الناس على الرسول ﷺ. فبينما أنا يوماً في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قريش، فقال: أين تذهب يا ابن

(١) صحيح مسلم، مؤسسة مناهل العرفان، توزيع مكتبة الغزالي، دمشق – حلبوني ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج٣، حديث رقم (٢١٣٩)، ص ١٦٨٦

(٢) عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، محمد رضا، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م ص ٢٢

(٣) مجمع الزوائد، للهيثمي ج٩، ص٦٣

الخطاب؟ أنت تزعم أنك هكذا، وقد دخل عليك الأمر في بيتك. قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد صبأت. فرجعت مغضباً، وقد كان رسول الله ﷺ يجمع الرجال، والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه، ويصيبان من طعامه، وقد كان ضم إلى زوج أختي رجلين. فجئت حتى قرعت الباب، فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب وكان القوم جلوساً يقرؤون القرآن في صحيفة معهم. فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم. فقامت المرأة ففتحت لي. فقلت: يا عدوة نفسها، قد بلغني أنك صبوت! – يريد أسلمت– فأرفع شيئاً في يدي فأضربها به. فسال الدم. فلما رأت الدم بكت، ثم قالت: يا ابن الخطاب، ما كنت فاعلاً فافعل، فقد أسلمت: فدخلت وأنا مغضب، فجلست على السرير، فنظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت، فقلت: ما هذا الكتاب؟ أعطينيه: فقالت: لا أعطيك. لست من أهله. أنت لا تغتسل من الجنابة، ولا تطهر، وهذا ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ (الواقعة: ٧٩). فلم أزل بها حتى أعطيتنيه فإذا فيه: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة: ١) فلما مررت بـــ (الرحمن الرحيم) ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي، ثم رجعت إلى نفسي فإذا فيها: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الحديد: ١) فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل، وذعرت، ثم ترجع إلى نفسي حتى بلغت: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (الحديد:٧) حتى بلغت إلى قوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الحديد: ٨) فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه مني

وحمدوا الله عز وجل. ثم قالوا: يا ابن الخطاب أبشر فإن رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال: (اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين إما عمرو بن هشام وإما عمر بن الخطاب)، وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك فأبشر. فلما عرفوا مني الصدق قلت لهم: أخبروني بمكان رسول الله ﷺ. فقالوا: هو في بيت أسفل الصفا، وصفوه. فخرجت حتى قرعت الباب. قيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب. فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب. فقال رسول الله ﷺ: (افتحوا فإنه إن يرد الله به خيراً يهده). ففتحوا لي، وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي ﷺ. فقال: (أرسلوه). فأرسلوني فجلست بين يديه. فأخذ بمجمع قميصي فجذبني إليه ثم قال: (أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده) قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فكبّر المسلمون تكبيرة سُمِعت بطرق مكة. وقد كان استخفى فكنت لا أشاء أن أرى من قد أسلم يضرب إلا رأيته. فلما رأيت ذلك قلت: لا أحب إلا أن يصيبني ما يصيب المسلمين. فذهبت إلى خالي وكان شريفاً فيهم فقرعت الباب عليه. فقال من هذا؟ فقلت: عمر بن الخطاب. فخرج إليّ فقلت له: أشعرت أني قد صبوت؟ قال: لا تفعل وأجاف الباب دوني (ورده) وتركني. قلت: ما هذا بشيء. فخرجت حتى جئت رجلاً من عظماء قريش فقرعت عليه الباب. فقال: من هذا؟ فقلت: عمر بن الخطاب. فخرج إليّ، فقلت له: أشعرت أني قد صبوت؟ قال: فعلت؟ قلت: نعم قال: لا تفعل. ثم قام فدخل وأجاف الباب. فلما رأيت ذلك انصرفت. فقال لي رجل: تحب أن يُعْلَمَ إسلامك؟ قلت: نعم. قال: فإذا جلس الناس في الحجر واجتمعوا أتيت فلاناً، رجلاً لم يكن يكتم السر. فأصغ إليه، وقال له فيما بينك وبينه: إني قد صبوت فإنه سوف يظهر عليك ويصيح ويعلنه. فاجتمع الناس في الحجر، فجئت الرجل، فدنوت منه، فأصغيت إليه فيما بيني وبينه. فقلت: أعلمت أني

صبوت؟ فقال ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا. فما زال الناس يضربونني وأضربهم. فقال خالي: ما هذا؟ فقيل: ابن الخطاب. فقام على الحجر فأشار بكمه فقال: ألا إني قد أجرت ابن أختي فانكشف الناس عني. وكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يضرب إلا رأيته وأنا لا أضرب. فقلت: ما هذا بشيء حتى يصيبني مثل ما يصيب المسلمين. فأهملت حتى إذا جلس الناس في الحجر وصلت إلى خالي فقلت: اسمع فقال: ما أسمع؟ قلت: جوارك عليك رد. فقال: لا تفعل يا ابن الخطاب. قلت: بلى هو ذلك. قال: ما شئت. فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام)(١).

رغم أن ابن حجر زاد على إضعاف زيد الذي ضعفت به الرواية –زاد بذكر إسحاق بن إبراهيم الحيثي الذي قال إنه أضعف من أسامة؛ إلا أني أرى فيها تسلسلاً ومنطقاً يجعلها مقبولة ومسوغة لإسلام شخص في قامة عمر بن الخطاب ﷺ ومعظم الروايات التي تحدثت عن إسلامه تعضد ذلك.

تعليق علي إسلام عمر:

وضحت قصة إسلام عمر أنه كان شديداً على المسلمين قبل إسلامه متعصباً، فقد تعدى على صهره وعلى أخته لإسلامها، وكان يريد أن يقتل رسول الله ﷺ، فذهب إليه وأسلم بعد أن قرأ القرآن الكريم فوقع في قلبه وأثّر في نفسه، وعلم أنه ليس كلام البشر، بل كلام الله سبحانه وتعالى. وعمر عربي أخضع القرآن لبلاغته، وحكمته، وروعته، ودلالات إسلامه أن الرجل الشجاع إذا اقتنع بشيء لا يتردد، ولا يعاند، ولا يكابر، فالشجاع ليس من صفاته الكبر، ولا التردد، ولا العناد، بل من طبعه الإقدام والمثابرة، ونفس الحماس الذي

(١) عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، محمد رضا، مرجع سابق ص ٢٣– ٢٥

كان عليه قبل القناعة، يستمر فيه بعد القناعة وهذه الشجاعة في الرأي من الصفات الإدارية المهمة.

ولعل استنباطاً آخر يمكن الوصول إليه في قصة إسلامه أنه عندما شجّ أخته رقّ قلبه، وهذا أيضاً من صفات القائد الذي لا يلوي إلا على الحق ولا يذعن إلا بعد الاقتناع بالبرهان المؤكد؛ فقد شعر بالخطأ عند ضرب أخته؛ كل هذا يدل على عقلية الإداري المحنك الذي يرى الحق ولا تأخذه فيه لومة لائم بل يسير فيه تمسكاً وعملاً ويرى غيره فيرفع عنه.

إن إسلام عمر تجلت فيه حكمة الشارع بنصرة الدين؛ والاستجابة للرسول الكريم ﷺ، ليجد أعواناً على الخير، ويفتح الباب لهذه الدعوة الوليدة، حتى تشب عن الطرق، وتترعرع في كنف قوة وعزة، نصرة للدين وتأكيداً لأن المستقبل لهذا الدين ولو كره الكافرون.

٣- العبقرية الإدارية:

هذه خطوط عامة عن العبقرية الإدارية عند أمير المؤمنين، وثاني الخلفاء الراشدين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قصدت منها الإشارة إلى التحقيق الإداري لمعنى وسطية الأمة، وهو العدالة الإدارية في السلطة والقسمة. والعبقرية في اللسان العربي تعني الإجادة المدهشة، والحذق في عمل شيء معين. وأصل الكلمة: (عبقر: بوزن عنبر، وهو موضع (واد) زعمت العرب أنه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته وقوته، فقالوا: "عبقري"، وهو واحد، وجمع، (وجرى الناس على جمعه على صيغة عباقرة). والأنثى "عبقرية"، ويقال: ثياب عبقرية، وفي الحديث (أنه كان

يسجد على عبقري)(١)، وهو هذه البسط التي فيها الأصباغ والنقوش. حتى قالوا "ظلمُ عبقري"، وهذا "عبقري قوم" للرجل القوي، وفي الحديث عن وصف عمر ﷺ (فلم أر عبقرياً في الناس يفري فريّة...)(٢) وقد خاطبهم الله تعالى بما تعارفوا عليه، قال عز وجل في سورة الرحمن: {وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ }(٣) (الرحمن: ٧٦).

والحديث الذي تقدم ذكره جزءٌ من حديث، وصف فيه رسول الله ﷺ عمر ﷺ في رؤيا رآها ورؤيا الأنبياء حق –وفيها رأي الرسول ﷺ أبا بكر وقد أخذ دلواً لإخراج الماء للناس من بئر، فترع نزعاً يسيراً. (أي أخرج الماء لمدة قصيرة)، ثم تلاه عمر، فاستحالت الدلو في يده غرباً (أي دلواً ضخمةً)، حتى اكتفى الناس(٤).

إن من مقاصد الإدارة تحقيق الأهداف باستعمال المتاح من الإمكانات، والإدارة العبقرية أو الكفاية الإدارية ترتفع بهذه المقاصد، فتحقق أقصى المطلوبات بدرجة مدهشة بإمكانات، قد لا تكفي لتحقيق مثلها، أو قل هي: فن تحقيق ما يراه غير العبقري مستحيلاً أو شبه مستحيل، ويمكن تشبيه الإداري الناجح بالحائك –وهو الخياط– الذي يستعمل القماش والخيوط والآلات لإنتاج لباسٍ

(١) لسان العرب.ابن منظور مادة العين، دار صادر –بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

(٢) صحيح البخاري منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ١٤١٨هـ ت ١٩٩٧م. ج٣،حديث رقم ٣٤٣٤،ص: ١٣٢٩.

(٣) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، ط ١٩٩٩م،ص: ٣٦٠–٣٦١ (بتصرف).

(٤) صحيح البخاري،كتاب التعبير ومناقب عمر بن الخطاب.

مناسب، وهو مصالح الناس. أما الإداري العبقري فقد لا يجد كل شيء متوافراً، فيعمل على توفيره وصنع اللباس منه.

وقد تناول المؤلفون العبقرية قديماً وحديثاً، ومن المحدثين عباس محمود العقاد –رحمه الله– في عبقرياته الشهيرة ومنها "عبقرية عمر". والمهم في هذا التناول هو الكفاية الإدارية، لأن جزءاً من التأخر المعاصر منسوب إلى تخلفنا الإداري! وهو أحد الأعراض المرضية العامة لمرض "التخلي عن المنهج الرباني".

٣- مهارة شخصيته:

وحياة عمر مثال على عبقريته الإدارية، لأنه كان ذا فطرةٍ طيبة، هيأ الله لها أن تتربى على منهج الله، وعلى يد النبوة: فجاءت بكلّ عجيب مدهشٍ، وقد أوردوا –مثلاً– أنه كان أعسر (أيسر)، أي يستعمل كلتا يديه بنفس المهارة، وأنه كان يقبض على أصبع رجله اليسرى بيده اليمنى، وعلى أذنه اليمنى بيده اليسرى، ثم يقفز على ظهر الفرس وهو على تلك الهيئة!.

٤-عبقرية مبكرة:

يحلو للمؤرخين الحديث عن الشخصية المؤثرة، التي تتسبب في تغيير مسار الأحداث المهمة في التاريخ.

وقد كانت لعمر في الجاهلية وظيفة دلّت على ما يتمتع به من عبقرية إدارية، إذ كان سفيراً لقريش، ولا تخفى مكانة قريش بين العرب في الجاهلية، والخطورة في منصب السفارة في حياة قريش.

٥-عبقرية إدارية منذ اليوم الأول:

وقصة إسلام عمر معروفة، وخلاصتها أنه خرج يريد قتل النبي ﷺ فلقيه رجل ونصحه بأن يبدأ بنفسه، وبأمر أخته فاطمة وزوجها ابن عمه سعيد بن زيدن

اللذين أسلما: وانتهت المواجهة العاصفة بغير ما بدأت به، حيث توجه عمر بن الخطاب بعدها إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزمي عند الصف لإعلان إسلامه! وما لبث عمر أن سأل النبي ﷺ عن سبب الاختباء، فلما علم أن السبب هو قلة المسلمين وضعفهم، وشدة إيذاء قريش لهم لهم. طلب من النبي ﷺ أن يخرجوا إلى المسجد الحرام. فيطوفوا بالكعبة جهراً، إعلاناً لإسلامهم، ونُفّذ الرأي الإداري الذي أشار به عمر، وخرج المسلمون إلى الكعبة، مكبرين في صفين، وكان على رأس أولهما حمزة بن عبد المطلب ﷺ، أسد الله وأسد رسول الله ﷺ وعلى الصف الثاني عمر، وكانوا أربعين رجلاً، في أول استعراض للقوة، أذهل جبروت كفار قريش. وسمى النبي ﷺ عمر يومئذ "الفاروق"(١)، وهو اللقب الذي استحقه، لأن الله فرق به يومئذ بين الحق والباطل، فكان في إسلامه، ثم خروج الصفين إظهار للدين وتوعين للكافرين.

- تكرار استعراض القوة:

وقد كرر عمر ﷺ استعراض القوة مرة أخرى، حينما عزم على الهجرة، فلم يهاجر إلى المدينة سراً كما فعل غيره، ولكنه توشح سيفه، واعتقل رمحه، ثم أتى قريشاً في محافلهم وصاح فيهم: "من أراد أن تثكله أمه: أي تفقده، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي"(٢).

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي- ط (دار ابن خلدون – الاسكندرية ١٩٩٦م تحقيق حلمي محمد إسماعيل.

(٢) السيرة الحلبية، العلامة أبي الفرج نور الدين الحلبي الشافعي، ضبط وتحقيق عبدالله محمد الخليلي، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت – ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ج٢، ص ٧١

ثم كرره عدة مرات، منها موقفه يوم فتح مكة، وهو على رأس الكتيبة الخضراء، وأبو سفيان حينها محبوس بصحبة العباس ﷺ، حتى تمر به جنود الإسلام، الزاحفة وكان ذلك بأمر من النبي ﷺ، وكان له أثره البالغ في نفس أبي سفيان، وعدم لجوئه إلى مقاومة الجيش الفاتح الظافر، وكان عمر في ذلك الاستعراض للقوة يوم الفتح، وفي خروج الصفين، وهجرته قرارات إدارية سليمة (بالحشد الجماهيري)، و "مسيرة الردع". واستعراض القوة لتوهين العدو. وهو سلاح بالغ الأهمية، في ظل التأثير الإعلامي المعاصر.

لا بد من معرفة الإداري لقدر الناس وقدراتهم، وكان عمر ﷺ يعرف قدر الرجال، وأول الرجال بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر ﷺ، وكان هو وأبو بكر وزيري النبي ﷺ وصاحبيه المقربين، وكان عمر يخرج لقضاء حاجات عجوز عمياء. في أقاصي المدينة، فيجد رجلاً قد سبقه إليها، ويرصده من الليل، فيجده أبا بكر، وكان أبو بكر يومها خليفة! واستوعب عمر ﷺ الدرس، فكان في خلافته يتفقد الرعية، ويعتبر نفسه مسؤولاً أمام الله لو عثرت بغلة بالعراق، لم يمهد لها الطريق!.

٦- عمر وبيعة أبي بكر ﷺ:

عند وفاة الرسول ﷺ برزت أخطر مسألة إدارية وسياسية في تاريخ الصحابة، فقد ترتبت عليها أوضاع عصبية، ومنها خلو منصب رئاسة الدولة والقيادة العامة، وأطلّت الآراءُ برأسها في سقيفة بني ساعدة، وطالب الأنصار بالخلافة، بناءً على دورهم المهم في قيام دولة الإسلام ونصرتها. ثم طالبوا بتعدد الإمارة (منا أمير ومنكم أمير)! فأبان لهم أبو بكر أمر الاستحقاق بالنص الشرعي، وبالرأي العقلي في الإمامة واقترح عليهم تولية عمر أو أبي عبيدة

رضي الله عنهما: وسألهم عمر: أتعلمون أن رسول الله ﷺ قد قدّم أبا بكر في الصلاة؟.

– قالوا: نعم.

قال: فمن منكم تطيب نفسه أن يتقدم على من قدّمه رسول الله ﷺ؟

قالوا: لا أحد، ثم ابتدروا البيعة، فبادر عمر وبايع أبا بكر ﷺ بالخلافة، فتبعه الناس في المبايعة.

٧–عمر في خلافة أبي بكر: رضي الله عنهما:

رأي سديد يمنع رأس الدولة من العمل التجاري!، وبعد يوم واحد من مبايعة أبي بكر ﷺ بالخلافة أخذ حبله متجهاً إلى السوق، لمزاولة مهنته، وقد كان تاجراً يبيع القماش فلقيه عمر ﷺ، وسأله عن وجهته، فأخبره أبو بكر ﷺ، فقال له عمر "لا! إذاً يقولون اشتريت من خليفة رسول الله وبعث خليفة رسول الله ﷺ.

فسأله أبو بكر، عن معاشه، كيف يوفره، فقال له عمر: (يفرض لك غداء وعشاء وخادماً يقضي حوائجك، ولبسةً للصيف ولبسةً للشتاء)، ويرد أبو بكر (قبلت)! أعِلمٌ هذا أم حلم! أبو بكر ﷺ الذي كان من أغنى أغنياء الدولة، والذي أنفق ماله كله في غزوة تبوك لتجهيز جيش العسرة. الجيش الغازي في سبيل الله، يتولى أبو بكر منصب رئاسة الدولة، فيرضى بحدّ الكفاف (مخصصاته ومصروفاته) هو عمر ﷺ المتحدث الصادق بلسان الأمة، وضميرها، عبقرية إدارية من الأول لا توازيها إلا عبقرية قبول الآخر لها ! وكان عمر ﷺ صاحب أول اقترح سديد في التاريخ المكتوب يمنع رئيس الدولة، من مزاولة العمل التجاري، منعاً للمحاباة، أو استغلال المنصب، وصيانةً للمنصب من الأقاويل والحساسيات المحرجة. وتفريغاً لصاحب

المنصب لمهامه الجسيمة. وتبع الرأي الأول رأي ارأي آخر ملحق به، يزيل ضرره عن رئيس الدولة، بتوفير حاجاته التي منعه المنصب من تحصيلها، والدرس للإداري عند إبداء الرأي أن يحتاط من أن يتضرر أحد به.

٨- دلالات عبقرية الإدارة عند عمر ﷺ:

١- ما ورد في قصة إسلامه، وشجاعته التي انتقل بها من ملة الكفر إلى الإسلام، والفهم العميق لما قرأ من القرآن، ورقّ لها قلبه، وتأثرت لها نفسه، رغم الشدة والعصبية غير العمياء لجاهليته. ما حدث في إسلامه كانت دلائله الإدارية والقيادية كبيرة؛ وأهمها الفهم والاقتناع، والجرأة التي فتحت الباب للمسلمين على مصارعه دعوةٌ إلى الله -سبحانه وتعالى- بطمأنينة وعزّ.

٢- إن سبب تسميته بالفاروق فيه دلالة عظيمة على ما يتمتع به من صفات شخصية؛ ومهارات أصيلة تجعله يفرق بين الحق والباطل؛ وقد قال الرسول ﷺ في ذلك: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرّق به بين الحق والباطل)(١).

٣- هجرته إلى المدينة المنورة، فقد رُوِيَ عن ابن عباس قال لي ابن أبي طالب: ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب ﷺ؛ فإنه لما همّ بالهجرة تقلّد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضّ في يده أسهماً واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، واعداً قريشاً بفنائها فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى المقام فصلى متمكناً، ثم وقف على الحلقين واحدةً واحدة وقال لهم: شاهت الوجوهُ لا يرغم الله إلا هذه المعاطس من أراد أن تثكله أمه: أي تفقده، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي(٢) قال علي:

(١) رواه أحمد والترمذي (٣٦٨٢) عن ابن عمر ﷺ، ورواه أبو داود (٢٩٦٢)

(٢) السيرة الحلبية، ج٢، ص ٧١، مرجع سابق.

فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علّمهم وأرشدهم(١) هذه الهجرة بهذه الصفات التي وردت في رواية علي عن هجرة ابن الخطاب تدل على تمكن الحق منه وأنه أصبح لا يخاف إلا الله؛ ومن أصبح هكذا تهابه الجبابرة وتطيعه الأكاسرة. والإقدام والشجاعة من الصفات القيادية الإدارية التي تجعل القائد الإداري يسير نحو تحقيق هدفه، وقيادة رعيته، التي يحقق بها هذه الأهداف، وقد قال علماء الإدارة في بعض تعريفاتها بأنها: (هي الإدارة الخاصة بتحديد النتائج المطلوب الوصول إليها والعمل على تحقيقها عن طريقه وبوساطة جهود الجماعة بالاستخدام الفعال للأفراد والموارد الأخرى)(٢) إشارة إلى أن قدرة واستعداداً ذاتياً أو مكتسباً ينبغي توافرهما في كل قائد إداري، قلبه تعلق بأهداف سامية، كما تعلق قلب عمر بن الخطاب لنصرة الدين الذي اعتنقه عن قناعة وفهم؛ وكيف استطاع أن يقود الفتوح ويوسّع رقعة الدولة المسلمة.

المطلب الثاني: عمر ﷺ في سُدة الحكم.. عبقرية في الإدارة والقيادة.

وفيه عدة ثلاثة عناصر:

العنصر الأول:- دلالات إدارية في خلافة عمر ﷺ:

بعد وفاة أبي بكر الصديق ﷺ ؛ انتقلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب ﷺ فاعتبرها ابتلاءً له ولقومه فقال: (وأما بعد، فقد ابتليت بكم وابتليتم بي وخُلِّفْتُ فيكم بعد صاحبي فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، ومهما غاب عنّا، ولينا

(١) تاريخ الخلفاء، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق د. رحاب خضر، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج١، ص ١١٥

(٢)(الإدارة العامة مدخل إداري) د. السيد عبده ناجي، دار النهضة العربية، القاهرة، جمهورية مصر العربي، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م

أهل القوة والأمانة فمن يحسن نرده حسناً ومن يسيء نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم)(١).

إن الكلمات التي استقبل بها هذا الخليفة الخلافة يستنبط منها الآتي:

١- لقد كان أمر الولاية له ابتلاء وهذا يشير إلى عدم الطلب؛ وإنما ولّي هذا الأمر دون رغبة إلا في الطاعة والاجتهاد في أمر المسلمين؛ ونحن نعلم من نصوص كثيرة أن الذي يطلب الولاية يوكل إليها، وإلى طلبه إيه ولا يعان عليها، والذي تأتيه دون طلب منه إنما يأخذها طاعة وتلبية لأمر الله، يعان عليها، ويكون حريصاً على أن يؤدي الذي عليه فيها بإتقان وإحسان تقيُّداً بأن الدين الذي اعتنقه، وتمسك به له قيم، وعقود، ومواثيق لا بد من المحافظة عليها، وأخذها بحقها.

٢- جعل الأمر ابتلاء للقوم ليعلموا أنه يعرف في نفسه بعض الصفات التي قد لا يرضاها كثير من القوم، ولعل هذا عند علماء النفس والرقائق يعني الإخلاص الذي عرّفه بعض العلماء؛ قالوا: (المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته)(٢). وهذا أمر عظيم لا يصل إليه إلا العظماء الذين مكّن الله الإيمان منهم، وحبّبه إليهم وزيّنه في قلوبهم حيث قال: (فقد ابتليت بكم).

٣- جعل الخليفة قبله صاحبه أي بمعنى أن منهجهما واحد، وأنه سيكمل مشواره الذي بدأه وهذا فيه إشارة إلى أنه استلم هذه الولاية عن الخليفة قبله،

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢٠٨/٣) عن الحسن قال: فما نظن أن أول خطبة خطبها عمر، ثم ذكرها

(٢) تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف (ابن رجب الحنبلي، ابن القيم وأبي حامد الغزالي)، أحمد فريد – دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص ٢٠

وهو راض عن سيرته وسيكمل ما وضعه تحقيقاً للهدف المشترك وإعمالاً للمؤسسية.

٤- جعل التخطيط والمباشرة، والمتابعة لنفسه ليعلم القوم أنه يتحمل مسؤوليته، حتى ولو فوّضها لغيره ليساعده فيها.

٥- جعل الولاية لأمر، لأهل القوة والأمانة، وليس للقرابة والحسب، والنسب امتثالاً لقوله تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} (القصص: ٢٦)، حيث قال: (ولينا أهل القوة والأمانة). (لذلك فمن الأهمية بمكان تحديد الصفات العامة الواجب توافرها في هؤلاء الاداريين الذين إذا كانوا أقوياء، قوى التنظيم، وإن ضعفوا ضعف التنظيم)(١)

٦- لقد جعل منهجه منهج القرآن الكريم، أن الحسنة لها الزيادة والمضاعفة، وأن السيئة لها مثلها؛ وكذلك يسير على مبدأ الثواب والعقاب، الذي هو مبدأ أصيل من مبادئ الإدارة في الإسلام، وفي غيره من النظم حيث قال: (فمن يحسن نزده ومن يسيء نعاقبه).

٧- إنه جعل الأمر كله لله -سبحانه وتعالى- طالباً منه المغفرة له ولقومه، وهذه إشارة واضحة إلى التوكل، وأن الأمر كله بيد الله -سبحانه وتعالى- حيث طلب الغفران قائلاً: (ويغفر الله لنا ولكم).

لعل ما أشرت إليه يوضح بعض الصفات الشخصية والمهارات الخاصة، التي أودعها الله -سبحانه وتعالى- في شخص عمر بن الخطاب ﷺ، والتي بدأت تتطور وتزداد وضوحاً حتى جاء وقته الذي أُسند إليه فيه أمر المسلمين أميراً عليهم؛ فشرح لهم سياسته وبيّن لهم استراتيجيته في قيادة الدولة إشارة إلى أهم

(١) أصول الادارة من القرآن والسنة د. جميل جون أبو العينين،ط١، دار ومكتبة الهلال للنشر، بيروت، لبنان ٢٠٠٢م، ص: ١٦٦.

أنواع التنمية؛ وهي تنمية الإنسان التي تبدأ بمعايير اختيارهم والصفات المطلوبة فيهم، والواجب الذي عليهم والحق الذي لهم.

ومن العبقرية الإدارية عنده بعد توليه الخلافة وتوسعه في أمر الدولة، إعادة لهيكلتها الأمور الآتية:

١- اختياره لأبي عبيدة بن الجراح نائبا:

من المعلوم أن الرسول ﷺ قد اجتمعت فيه كل صفات القيادة وأخلاقها، وكان شخصية متكاملة؛ فقد قال ﷺ: (أنا نبيّ رحمة، وأنا نبي الملحمة)(١)، وقال: (أنا الضحوك القتّال)(٢) جمع بين الرحمة والملحمة، وبين الضحك والقتال، وكل هذا يدل على تكامل الصفات في شخصية الرسول ﷺ، وقد انعدمت هذه الصفات المتكاملة بعد وفاته ﷺ؛ وأصبح واجباً على الوالي أن يختار من يكمله، وهذا ما نحتاجه اليوم إذ بعدت الشقة بيننا وعهد الرسول ﷺ، نحتاج لتكامل القيادات.

لما ولّي أبو بكر كان يساعده عمر رضي الله عنهما، فكمّلا بعضهما البعض، رغم قرب وقتهما من حياة الرسول ﷺ وقد تربيا على يده، وشربا منه فضلاً وعلماً، ولكن رغم ذلك، كانا متلازمين تكميلاً لبعضهما، حتى قال النبي ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)(٣)، في إشارة الرسول ﷺ إلى الاقتداء بأبي بكر وعمر دلالة على أنهما يكملان بعضهما بعضاً، ولعل الناظر

(١) في الكنز (أنا نبي التوبة وأنا نبي الملحمة انظر كنزل العمال للمتقي الهندي ٤٤٣/١١، برقم ٣٢٠٨٦)

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ص٢٥.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٢٦

إلى صفاتهما التي يتمتع بها كل واحد منهما؛ يجد التكامل فأبو بكر الصديق ﷺ كان شديداً، فلذلك كملا بعضاً؛ وليس أدلّ على ما ذهبت إليه في قصة التكامل بين الرجل الأول ونائبه؛ من قصة أبي بكر ﷺ مع خالد بن الوليد؛ حيث عاشا متكاملين حتى لحق أبو بكر الصديق ﷺ بالرفيق الأعلى؛ وجاء عمر ورأى أن خالداً يشابهه في صفاته فعزله، واستناب أبا عبيدة عامر بن الجراح ﷺ بدلاً عنه(١). وما ذلك إلا أن أبا عبيدة كان رجلاً رقيقاً يستطيع أن يكمل عمر بشدته؛ ولعل هذه توضيح الرؤية الثاقبة التي نظر بها عمر ﷺ مستفيداً في ذلك من تجربته الثرية مع أبي بكر الصديق ﷺ. هذا النموذج يمثل مقدرة إدارية راقية، كما يمثل حرصاً على حقوق الناس وعدم ضياعها، ويمثل هذا أيضاً حرصاً على العدالة وعدم الظلم؛ وكل ذلك يتطلب حنكة وفهماً للواجبات، وتوزيعها بين القائمين على الأمر، في بداية نشأة الدولة التي كانت إدارة مواردها تمثل المسئولية الأولى، ويتولاها عادة المسؤول الأول، وقيادة الجيش يتولاها الرجل الذي يليه. هذه التجربة وهذا النموذج الإداري تحتاجه الأمم، وقد ظل علم الإدارة يركز عليه حيث التكامل بين القيادة يؤدي إلى الانسجام المطلوب، والذي بدوره يؤدي إلى العمل بروح الفريق الواحد، الذي تحدثت عنه معظم نظريات الإدارة العلمية، التي اهتمت بسلوك الإداريين، وتقسيم الواجبات التفصيلية بينهم سعياً نحو تنفيذ الأهداف العليا للمنظمة المعنية.

٢- تولية الأجدر بالإمارة:

من المبادئ الأساسية في اختيار الولاة، ومن يقومون على خدمة الأمة، عملية اختيار الأصلح والاجدر بالوظائف المهمة، حيث إن الولاية أياً كانت فهي أمانة تقتضي تأديتها معرفتها جيداً وإسنادها إلى من يقوم بها بحق. (فيجب

(١) السياسة الشرعية، مرجع سابق، ص٢٣

على ولي الأمر أن يولي على كل من أعمال المسلمين، أصلح من يجده لذلك العمل)(١)، قال النبي ﷺ: (من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فأمّر عليهم أحداً محاباة، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحداً حمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئاً بغير حقه فعليه لعنة الله)(٢)، وفي رواية (من قلّد رجلاً عملاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين)(٣)، إذاً مبدأ اختيار العاملين من واجب الولاة وهو بهذا التصور يعتبر أمراً كبيراً؛ إهماله يصل إلى الخيانة كما وصفه الرسول ﷺ؛ ونظمه والأسس التي يختار عليها كثيرة في أقواله وأفعاله، وكلها مستنبطة من فعله ﷺ، وقد أصبحت قواعد شرعية يسير عليها الناس في وضع المعايير والاختيار؛ مثل موضوع التزكية، الذي اشترط فيه السفر والمأكلة. وكذلك ما روى عنه من قوله لابن عمر رضي الله عنهما؛ قال عمر بن الخطاب ﷺ: (من وُلّيَ من أمرِ المسلمين شيئاً، فولّى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمسلمين)(٤) فمن هذا القول يتضح أن معايير الاختيار عنده واضحة كما أشرنا إلى حديثه عند توليه الخلافة، وإلى قوله المذكور أعلاه، حيث جعل أهم المعايير والمواصفات لاختيار العاملين القوة والأمانة؛ وأضاف عليها في النص المذكور عدم التولية من أجل المودة والقرابة، بل اعتبر ﷺ أن الاختيار بغير هذه الأسس الواضحة خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين. إن القواعد التي أشرت

(١) ابن تيمية السياسة الشرعية، مصدر سابق، ص١٨

(٢) مجمع الزوائد، ج٥، ص ٢٣٢

(٣)أخرجه الحاكم في المستدرك (٩٣/٤)

(٤) ابن تيمية، السياسة الشرعية، مرجع سابق، ص١٨

إليها في اختيار العاملين؛ من القواعد الذهبية التي لا يندم الذي اختار على أساسها، واعتبرها أخذاً بالأسباب لإنجاح العمل، وتولية للأصلح بعد التوكل على الله –سبحانه وتعالى– وهذا أمر من الضرورة بمكان، أو يجب أن يوضح لكل لجان الاختيار، والتوظيف في مستوياتها الاتحادية، والولائية، ولأي مسؤول له حق اختيار العمالة وتوظيفها. (وتعني عملية الاختيار الحصول على الأفراد المناسبين لشغل الوظائف المختلفة بالمنظمة العامة ؛ويتضمن ذلك اختيار الأصلح من بين المتقدمين في ضوء الاختيارات المختلفة والمؤهلات التي تتوافر فيمن يتقدم لشغل الوظيفة)(١)

٣- تنفيذ خطة الخليفة الأول:

وهذا يتجلى في إرسال عمر الجيوش إلى العراق بقيادة أبي عبيدة والمثنّى في صبيحة الليلة، التي توفي فيها أبو بكر الصديق ﷺ لأن أبا بكر كان يخطط لذلك؛ حيث صعد عمر المنبر، وألقى على الناس خطبة في المسجد؛ جاء فيها قوله: (إني قائل كلمات فأمنوا عليهنّ: إنما مثل العرب مثل جمل آنف، اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقول– وأما أنا فو رب الكعبة لأحملنهم على الطريق)(٢).

إننا نعلم أن مبدأ التسليم والتسلم من أهداف الإدارة في الإسلام، وهو مبدأ عظيم يحقق المؤسسية، والتواصل في العمل دون انقطاع؛ وقد فعل ذلك الرسول ﷺ حيث بُعِثَ منقذاً للبشرية من براثن الشرك والضلال إلى حياض الإسلام المترعة، وساحاته الفسيحة المفعمة بالخير ومتعلقاته من حب، وود، ووئام.

---

(١) د. السيد عبده ناجي، مرجع سابق، ص : ٣٩٠.

(٢) عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، محمد رضا– مصدر سابق، ص ٧٩

قال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(١) إذا كان الرسول ﷺ جاء إلى مجتمع جاهلي وأقرّ له بصفات الكرم والشجاعة والمروءة، واعتبرها أخلاقاً جاء ليتممها، فما بال عمر الذي بعد أبي بكر الصديق رفيق رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار. جاء عمر محققاً لهذا المبدأ حيث قرر مواصلة العمل وتنفيذ الخط، فواصل الفتوحات ونفّذ ما خططه صاحبه قبله، مقسماً برب الكعبة أنه سيحمل الناس على الطريق لتنفيذ الخطة المذكورة، وذلك لقناعته بخط صاحبه وأنه موافق للصواب، وهكذا يجب أن يكون الإداري الذي يأتي عاقباً أن ينظر في عمل الذي قبله تقوعاً وتقييماً؛ فيأخذ الإيجابي ويطوره، ويقف عن السالب إصلاحاً وتعديلاً؛ وبعد ذلك يتمثل بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (الحشر: ١٠).

هذا المبدأ مهم للقيادة في كل زمان ومكان إذا أرادت أن تُنجز عملاً، تنظر في الخطة السابقة، وما بقي منها، وبعد تمحيصها ودراستها، تواصل فيها تخطيطاً وتنفيذاً، حتى يكتمل البناء وتبنى المؤسسة على عمل متواصل يحقق الانسجام فيها، سعياً وراء النجاح والإنجاز، وفق المواصفات المطلوبة في كل عصر من العصور، بانية أمرها في ذلك على أصولها، مواكبة لعصرها ومحدثاته. إن الذي فعله عمر ﷺ يتسق تماماً مع هذا المبدأ؛ بل يضع أسسه ويقوّم بنيانه مرصوصاً على هدى الأهداف المرسومة لبلوغها؛ متخذاً لها وسائل من جنسها لتحقيقها مرتبة حسب الأولويات، والأسبقيات.

(١) مجمع الزوائد، ج٩، ص ١٥

٤- إدارة الوقت:

إن إدارة الوقت من القيم الإسلامية المهمة، وقد أشارت شريعة الإسلام في أحكامها إلى الوقت وأهميته؛ وقد ربطت العبادات بالتوقيت للصلاة، والصوم، والزكاة، والحج وغيرها. والوقت نعمة من الله -سبحانه وتعالى- أنعم بها على الإنسان، وقد أشير إلى أمر نعمة الفراغ والتي هي من النعم التي يغبن عليها الإنسان: قال رسول الله ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)(١) وقد اهتم الكتاب القدامى والمحدثون بالوقت وفصّلوا فيه. وبالرجوع إلى سيرة سيدنا عمر بن الخطاب تجده قد اهتم بهذا الأمر؛ وليس أدلّ على ذلك من اهتمامه بالتقويم باعتباره إدارة وقت حيث يحدد البداية والنهاية، والتفاصيل بينهما؛ فهو أول من أمر بالعمل بالتقويم الهجري(٢)؛ فقد أمر بوضعه بعد أن كانت العرب تعتمد على الأحداث، والأيام المهمة، كعام الفيل وحرب الفجار.

يبدأ التقويم من هجرة الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وكانت بدايته في السادس عشر من شهر يوليو ٦٢٢م.

إن الاهتمام بالتقويم الهجري، تأصيل لعنصر مهم في حياة الناس؛ وهو عنصر الزمن، وقد ربط بحدث يعتبر من أهمّ الأحداث في حياة المسلمين، حيث كان بداية تشريع للبحث عن المراغم، والسعة هجرة لله ورسوله. إن الاهتمام بقيمة الوقت يزيد الإنتاج، وتستقل الأمة، وتنمو حضارتها؛ والاهتمام بالوقت قيمة حضارية اشتهرت بها شريعة الإسلام رغم إهمال المسلمين، إلا أنها تظل قيمة

(١) سنن ابن ماجه، شرح د. محمد ديب البغا، دار العلوم الانسانية دمشق، ٢، ص١٣٩٦.

(٢) أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر. علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي،، ط١٢، دار المنار للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص ٢٠٣

محفورة في تاريخ حضارة الإسلام، التي تميزت بالشمول والاستمرار والدق والانضباط. واهتمام سيدنا عمر ﷺ بإدارة الوقت، والعمل بالتقويم الهجري يدل على اهتمام هذا الخليفة بقيمة الوقت وإدراكه لأهميته في العمل والإنتاج، وفي تنظيم حياة الناس؛ كتنظيم صلاتهم في وقتها؛ قال تعالى: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً} (النساء: ١٠٣)؛ وتنظيم الصوم في شهر رمضان، قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} (البقرة: ١٨٥)، وتنظيم الزكاة بإتمام الحول وبلوغ النصاب، وهكذا اهتمت شريعة الإسلام بإدارة الوقت، التي أحياها هذا الخليفة الراشد بالعمل بالتقويم الهجري؛ والاهتمام بالوقت يعتبر مبدأ مهماً في الإدارة الحديثة؛ واهتمام عمر ﷺ بالوقت وإدارته يعتبر ثورة إدارية عارمة انفرد بها ابن الخطاب؛ ودلّت على كفايته الإدارية، وبُعد نظره في التخطيط الاستراتيجي بأنواعه المختلفة (قصير المدى، ومتوسط المدى، وطويل المدى). (وقد ورد أن التخطيط عملية مستمرة، تقدم على اتخاذ القرارات)(١). وواضح أن اتخاذ القرار واستمرار العملية في اختيار العمل بالتقويم الهجري.

٥- شدة عمر في الحق:

كان عمر شديداً في الحق، وقّافاً، عنده لا تأخذه فيه شفقه ما دام الأمر لله، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: (أشد أمتي في الحق عمر)(٢)، وقد كان ﷺ ذا هيبة، ظن بعض الصحابة أنها تمنع منه أصحاب الحاجات؛ فأرسل إليه عبد الرحمن بن عوف: (يا أمير المؤمنين، لن للناس فإنه يقوم القادم إليك

(١) الإدارة (دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الادارية) د. مدني عبدالقادر علاقي، ط٦، مكتبة دار زهران، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، ص: ١٠١.

(٢) صحيح ابن حبان، حديث رقم (٧١٧)

فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع ولن يكلمك، قال: (نعم، قال: يا عبد الرحمن، والله لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتددت حتى خشيت الله في الشدة، فأين المخرج؟ فقام عبد الرحمن يبكي يجر رداءه يقول بيده: أُفٍّ لهم بعدك، أُفٍّ لهم بعدك)(١) إن الدولة تكمن شخصيتها في قيادتها، فكلما كانت شخصية القائد مهابة كانت للدولة الهيبة والمهابة.

إن عمر قد شهد له الرسول ﷺ، وأصحابه بأنه رجل شديد في الحق بل أشد الأمة في الحق، والشدة في الحق تعني الأخذ بالعزائم، وحمل الناس على الجادة، وكذلك تعني تمثلها في النفس أولاً؛ ثم بعد ذلك على الآخرين.

إن هيبة الدولة تعني الاعتزاز بالمنهج، وعدم التفريط فيه؛ وهذا الحرص على حماية بيضة الدولة خاصة في زمن تكالبت فيه الأمم على الإسلام والمسلمين، ووجب فيه أخذ الأنفس بالعزائم قدوة وأسوة، ثم حمل الكافة على ذلك، حتى يستقيم عود الدولة، وتحفظ سيادتها وتحترم بين الدول؛ أما الدولة التي لا يكون قادتها أشداء في وقت الشدة؛ يضعون السيف في موضع الندى، والندى في موضع السيف، فإنها دولة ضعيفة، وتصبح في مهب الريح تتقاذفها الأهواء، وتتلاعب بها أجهزة الإعلام حتى تُزلزل عروشها، وتصبح كأعجاز النخل الخاوية، فلا ترى لها من باقية، خاصة وأنه في هذا الزمن الذي تجمعت فيه قوى البغي والشر؛ وكُوِّنت الأحلاف العسكرية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية، وأصبحت تظهر في كل مرة على العالم بوجه جديد، يوماً بالحرب الباردة، تقاطع هذه الدولة، وتحاصر تلك، وتفرض عقوبات على تلك، وترفع الجذرة على أمة، وتصالح أمة، وتهدد أخرى، وترفع شعار المرأة والجندرة أحياناً؛ وفي كل وقت لها لبوس.

(١) الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، محمد رضا- مرجع سابق ص ٣١

هذا الوضع المأساوي يتطلب من قيادات الأمة الانتباه، والأخذ بالأسباب، من معرفة علوم العصر، والتدريب عليها، واستخدامها في الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- وبسط سلطان الإسلام والمسلمين، والله -سبحانه وتعالى- وعد بالنصر لمن نصره ووقف مع الحق ومنع المنازعة، حتى لا تذهب الريح، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

إن الخلافة الراشدة في عهد الرسول ﷺ وما دنا منها عصمة من الله -سبحانه وتعالى- حضت على التمسك بأمر الدين، وقيض له حكاماً يقيمون حدوده، فيحللون حلاله ويحرمون حرامه، حتى وصل إلى عهود بدأ فيها الانحطاط، والبُعد عن الدين. أما اليوم فقد نهض الشباب، وظهرت الصحوة والنهضة؛ فعلى قيادات الأمة أن تلين حتى تخشى الله في اللين؛ وأن تشتد حتى تخشى الله في الشدة، حتى تقوم دولة الإسلام على ما كان عليه الأولون فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

٦- موافقات عمر ﷺ للقرآن الكريم:

من المعروف في السيرة أن عمر ﷺ كان سديد الرأي، صائباً، وقد كان كثيراً ما يوافق رأيه القرآن الكريم.

قال عمر ﷺ: (وافقت ربي في ثلاثة: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر)(١).

أ- موافقته في مقام إبراهيم: قال عمر ﷺ: (يا رسول الله ألَيس هذا مقام إبراهيم أبينا؟ قال بلى: قال عمر: فلو اتخذته مصلّى. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(٢).

(١) صحيح البخاري، ج١، حديث رقم ٣٩٣، ص١٥٧، مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١، ص ١٥٤

ب- موافقته في الحجاب: قال عمر: قلت يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب(١)؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً} (الأحزاب: ٥٣).

ج- موافقته في أسرى بدر(٢): قال عمر ﷺ: لما كان يوم بدر وهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون، وأسر سبعون؛ استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً؛ فقال لي: ما ترى يا ابن الخطاب؟ فقلت: أرى أن تمكنني من فلان -قريب لعمر- فاضرب عنقه، وتمكّن علياً من عقيل، فيضرب عنقه، وتمكن حرة من فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم، وقادتهم. فلم يهو رسول الله ﷺ ما قلت، فأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك أنت وصاحبك؟! بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، قال النبي ﷺ: للذي عرض عليّ أصحابك من الفداء، لقد عُرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة -لشجرة قريبة- فأنزل الله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (الأنفال:

(١) البخاري ١ : ١٠٥ ومسند أحمد ١ : ٢٤، ٦، ٣

(٢) د. محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص ٤٢

٦٧)، فلما كان من العام المقبل قتل منهم سبعون، وكسرت لرسول الله رباعيته، وهشمت البيضة، على رأسه وسال الدم على وجهه، وأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ (آل عمران: ١٦٥) بأخذكم الفداء. إن الموافقات القرآنية، لرأي عمر بن الخطاب ﷺ كثيرة، وغير التي ذكرت، نذكر بدون تفصيل؛ موافقته في الاستئذان(١)، وموافقته في ترك الصلاة على المنافقين(٢). إن موافقات عمر للقرآن الكريم، دليلٌ عظيمٌ على صدق رأيه، واجتهاد في الوصول إلى الحق. وكذلك يدل على قراءته للواقع ورؤيته للمستقبل واستشرافه له، وفي هذا أيضاً دلالة على عبقرية عمر الإدارية.

٧- إقامة الدواوين لتنظيم السجلات والأعطيات:

أ- سبب تسمية الديوان(٣) ونشأته:

تختلف الروايات في أصل لفظ (ديوان) أعربيٌّ هو أم فارسيٌّ؟ على العموم، كان لهذه الكلمة مفهوم يتعلق بإدارة الدولة في الامبراطورية الساسانية، ثم انتقلت إلى لغة العرب. فكلمة "الديوان" اسم أطلق على الدفاتر المستخدمة في تسيير المصالح المختلفة في إدارة الدولة من إدارية وعسكرية ومالية، وتشمل الأماكن التي توجد بها هذه المصالح وموظفو الدولة.

---

(١) د. محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص٤٢

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٣

(٣) تأسيس عمر بن الخطاب ﷺ للديوان، د. مصطفى فايدة، نقله من التركية مسعد سويلم، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ص ٦٧

الروايتان اللتان وردتا حول سبب تسمية الديوان لدى الساسانيين اتفقتا مع غيرها في أن هذا التعبير قد انتقل من الساسانيين إلى العرب.

الرواية الأولى:

دخل كسرى أنوشروان ذات يوم على كُتّابه، وعندما رآهم يقومون بالعدّ والحساب مع بعضهم البعض، قال عنهم (ديوانهِ) أي (مجانين)، ومع مرور الوقت، جرى إطلاق كلمة (ديوانه) على المكان الذي يعمل به الكتاب. ثم سقط حرف "الهاء" من آخر الكلمة، وتحولت إلى "ديوان".

الرواية الأخرى:

إن كلمة ديوان الفارسية تعني "الشياطين" وسُمّي الكُتّاب باسم الشياطين لحذقهم بأمور الدولة، ووقوفهم السريع على كل أمر جلياً كان أم خفياً، وقدرتهم على جمع الأرقام المتفرقة والمختلفة، ثم صارت هذه الكلمة اسماً يطلق على مكان جلوس الكُتّاب.

ومن جانب آخر، فالديوان تعبير استخدام لإظهار مكانة الشعر وأهمته في المجتمع العربي. وأطلق بعض المؤلفين على الشعر اسم (ديوان العرب) أو ديوان علم العرب (ديوان علمهم). أي الذي يحتوي كل معارف العرب، وحافظ عليها، والذي يراجعونه دوماً، ويستفيدون منه.

واصطلاح "الديوان" شاع استخدامه في بلاد الإسلام منذ تأسيس عمر للديوان من أجل توزيع وارد الفيء، وأصبح في عهد الأمويين، والعباسيين يشكل اسماً يطلق على مؤسسات تتولى وظائف الدولة المختلفة، وعلى رأسها الأمور العسكرية، والشؤون المالية.

الديوان مؤسسة حضارية قامت عليها الدولة الإسلامية، وضع بنياتها عمر ابن الخطاب ﷺ، رغم أن وظائف الديوان مُورِسَتْ في عهد الرسول ﷺ، وفي عهد

أبي بكر الصديق ﷺ، (أما تنظيم الناس في سجلات دائمة وتسجيل أعطياتهم ودفعها لهم على مدار السنة مما اختص بها لديوان الذي نشأ في عهد عمر ﷺ)(١).

إن الوظيفة التي من أجلها أُسس الديوان هي توزيع المتحصلات من أهل الذمّة على المسلمين الذين يستحقونها حسب موقع كل واحد منهم (فقد تأسس الديوان في الأصل لتوزيع الأموال والواردات التي استحصلت من أهل الذمة على مستحقيها من المسلمين)(٢).

ولعل نشأة الديوان تعتبر من أهم المعالم الإدارية البارزة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وفيها دلالات واضحة على عبقريته الإدارية، واهتمامه بالموارد الثابتة لإدارة الدولة حيث إن الموازنة (الموارد والمنصرفات) تعتبر من أهم عناصر الإدارة.

العنصر الثاني: نشأة الديوان

ورد في نشأة الدواوين روايات كثيرة؛ كلها تدل على معالم إدارية دقيقة، وعصارة هذه الحيثيات وكلها متشابهة في إنشاء الديوان. إن الدولة اتسعت بعد الفتوحات وأصبحت هنالك حاجة لتنظيم الأموال وكيفية توزيعها؛ ممّا أوجب على عمر ﷺ، أن ينشئ نظاماً لتوزيعها بعدالة ودقة. (وتتشابه الحيثيات المذكورة في المصادر هو إنشاء عمر للديوان. فقد حصلت زيادة كبيرة في واردات الفيء المرسلة إلى المدينة المنورة نتيجة للفتوح؛ في الشام، والعراق، وفارس. وهذا أوجب على عمر ﷺ أن يؤسس نظاماً جديداً لتوزيعها)(٣).

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٦.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١١

(٣) المرجع السابق نفسه، ص٥٩

ولم تكن نشأة الدواوين بدعاً، ولكنها كانت استهداءً بثوابت المرجعيات لدى المسلمين من القرآن الكريم، والسنّة المطهرة الصحيحة، وما يأمر به هذان المصدران ليتحقق اتباع المنهج مع صالح النيّة ليقبل العمل عند الله سبحانه.

المرجعيات والاستشارات التي صاحبت نشأة الديوان:

١.الاستفادة من القرآن الكريم بما جاء فيه من مبادئ أساسية لتنظيم حياة الإنسان حيث أوضح القرآن، الحلال والحرام، وبيّن الحسن والقبيح، والحق والباطل، والعدل والظلم، وحقوق الناس، وبيّن أن الإنسان محاسب في الآخرة التي هي دار حساب بلا عمل؛ الإنسان محاسب في الآخرة على أعماله في الدنيا التي هي دار عمل بلا حساب، إلا حساب من ولاه الله عليه حسب النظم الإدارية والقانونية واللائحية التي تنظم أعمال المؤسسات والمجالس.

٢.السنّة المطهرة الصحيحة، حيث كانت تبياناً لما ورد في القرآن الكريم ففصلت بعض التشريعات، ووضحت مراميها، ومقاصدها.

٣.الاستفادة من تجربة وظائف الديوان عند أبي بكر الصديق ﷺ، (انتفع كثيراً من شخصية الخليفة الأول ومن القرارات والإجراءات المتعلقة بإدارة الدولة)(١).

٤.الاستشارة لصحابة الرسول ﷺ في إدارة المال في الدولة، منهم علي وعثمان رضي الله عنهما.

٥.استشارة بعض الذين لهم خبرة في تنظيمات الأمم، ومنهم الوليد بن هشام، الذي أشار إليه بتجربة الديوان البيزنطي في سورية وتنظيم الجيش، واستمع كذلك لرأي فيروزان عن دواوين فارس.

(١) المرجع السابق نفسه، ص١٣

٦.فطرته السليمة، وقدرته التنظيمية، وقبلها تربيته على يد الرسول ﷺ (وكانت أهم العناصر التي ساعدته على تحقيق النجاح هي قابليته الفطرية، وقدرته التنظيمية، إلى جانب تربيته على يد الرسول ﷺ الذي كان خُلقه القرآن)(١).

كل هذه الاستشارات والاستنباطات تدل دلالة واضحة على الفكر الإداري الثاقب، الذي يقوم على المهارات الشخصية، وتجارب الآخرين، التي هي إعمال للنظريات الإدارية، وبهذا يكون تأسيس الدواوين واحداً من الدلالات الإدارية التي دلّت على الكفاية الإدارية لدى عمر بن الخطاب ﷺ، وعبقريته الفذة، مما جعل فترة خلافته غنية بالتطورات الإدارية، التي أصبحت، لها شأن عظيم في تأصيل العمل الإداري إلى يومنا هذا؛ يستفيد منه الجيل بعد الجيل ولله الحمد والمنّة.

العنصر الثالث:- عمر ﷺ في القضاء

كتاب أمير المؤمنين عمر ﷺ عن القضاء الموجّه لأبي موسى الأشعري ﷺ يعتبر قاعدة من قواعد القضاء؛ قال أمير المؤمنين عمر: (أما بعد.. فإن القضاء فريضة محكمة وسنّة متبعة، فأفهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لإنفاذ له، آسي الناس في مجلسك وفي وجهك وفي قضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف في عدلك، البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر(٢) والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم

(١) المرجع السابق، ص١٢

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، مسلم في الصحيح، الأقضية برقم عام (١٧١١) نحو هذا اللفظ تماماً

حلالاً(١)، ومن ادّعى حقاً غائباً أو بيّنة أعطيته بحقه، وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فإن ذلك أبلغ في العذر وأجلى للعماء، ولا يمنعنّك قضاء قضيت فيه اليم فراجعت رأيك فهُديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض(٢) إلا مجرّباً عليه شهادة زور أو مجلوداً في حدّ، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة، فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود إلا بالبيّنات والإيمان، ثم الفهم فيما أدلى إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنّة، ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق، وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة –أو الخصوم شك أو عبيد– فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فيه شانه الله فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته.. والسلام عليك ورحمة الله)(٣).

---

(١) إشارة إلى حديث عمرو بن عوف: الترمذي برقم (١٣٥٢) وجه (٢٣٥٣) في إسناده ضعف ولكن له شاهد عند أحمد: ٣٦٦/٢، وأبو داود برقم (٣٥٩٤)، والحاكم في المستدرك: ٤٩/٢، وصححه ابن حبان كما في الموارد برقم (١١٩٩) وإسناده حسن

(٢) كتاب عمر ﷺ، أخبار القضاة، وإسناده حسن ٧٠/١– ٧٣، وأما العدالة ففي الصحابة فقط

(٣) جزء من كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، محمد بن خلف في أخبار القضاة ٧٣/١، وسبل السلام ١١٩/٢، وأورد النص ابن القيم في إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العالمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ– ١٩٩١م، ج١، ص٦٨

هذا الكتاب عظيم في فن القضاء، وتطبيق الحدود الشرعية وأعطى فرصة كبيرة للحكام في الاجتهاد المبني على العلم، ابتغاء الوصول إلى حكم شرعي صحيح. قال ابن القيم: (وهذا الكتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة. والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه)(١).

هذا الكتاب أوضح أن هنالك ثوابت ومتغيرات، فأما الثوابت لا مجال فيها للاجتهاد، إلا في حدود فهم النص واستنباط الحكم. ووضح أن القضاء من الأمور التي يشترط فيها العلم للقاضي، لأنه لا يجوز للقاضي أن يحكم بغير علم. قال ابن القيم: (وقوله: القضاء فريضة محكمة وسنّة متبعة، يريد به أن ما يحكم به الحاكم نوعان:

أحدهما: فرض محكم غير منسوخ، كالأحكام الكلية، التي أحكمها الله في كتابه العزيز.

والثاني: أحكام سنّها الرسول ﷺ؛ وهذان النوعان هما المذكوران في حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: (العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة، وسنّة قائمة، وفريضة عادلة)(٢).

أما الجانب الذي عليه مدار الرسالة ففي هذا الجانب الإداري رؤية تشكل قواعد نفسية في القضاء الإداري؛ وتضع موازين حساسة في التوظيف والاختبار يجب على القيادي الإداري المسلم أن يلم بها، ويتخذها نبراساً يهتدي به في ظلمات الجهل، وغياهب التخبط، وإدلهمام الأمور.

(١) ابن القيم إعلام الموقعين عن رب العالمين، مرجع سابق، ص٦٩

(٢) ابن القيم، مرجع سابق، ص٦٩

وأول ما يمكن استنباطه من هذا الكتاب جانباً إدارياً مهماً وهو إنفاذ القرارات ومتابعة القول بالعمل، حيث قال: (فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له).

أما الجملة الأخرى والتي تعتبر منهجاً إدارياً مهماً المساواة بين الناس إذا اختلفوا، من حيث السماع للطرفين، والاجتهاد في الوصول إلى الحكم الذي يرضي الله سبحانه وتعالى حيث لا يطمع الشريف في الحيف، ولا يخاف الضعيف من عدم العدل والظلم باعتبار أن كفته مع خصمه غير متساوية وهذا أمر إداري مهم من حيث يدخل السرور على نفوس الخصوم ويشعرهم بالعدل، قال عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه كما ذكره ابن خلدون في مقدمته ص٢٢١ والبيان والتبيين للجاحظ ٤٩/٢ وما بعدها: (آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك). كما وضح الكتاب قاعدة إدارية ممتازة وهي أن يميل الإداري للصلح بين الناس العاملين معه ليزيل الغلّ من نفوسهم، ويجعلهم يعملون مع بعضهم البعض بنفوس راضية بلا حرج في القضاء وتسليم بالأمر لأنه نبع من مكان عدل، كما قال: (والصلح جائز فيما بين الناس إلا ما أحل حراما أو حرم حلالا) ولعله أيضاً من الملاحظات المهمة في هذا الكتاب مراجعة القرارات اتباعاً للحق وعدم المكابرة إذ الحق لا يسقطه التقادم وإنما هو قديم، حيث قال: (ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل).

والكتاب يشير إشارات واضحة للصفات التي يجب أن يتصف بها الإداري سواء كان قاضياً أم غيره مثل صفة الفهم التي تعني إدراك المعاني، ولتحقيقها لا بد من أن يتميز القاضي أو الإداري بالإنصات للآخرين وسماع حججهم حتى لا يضيع الحق، ويتضح ذلك في قوله: (ثم الفهم فيما أدى إليك مما ورد).

والرسالة وجهت توجيهاً إدارياً مهماً في مجال العدل بين الناس خاصة للقيادات الإدارية حيث أكدت عدم اتخاذ القرار في حالات الغضب لأن الإنسان لا يستطيع أن يضبط نفسه ويقضي بالحق وهو غضبان.

ختمت الرسالة بأمر عظيم، وهو إخلاص النية في العمل الذي كلف به الإنسان، ولعل إخلاص النية من الهواجس التي كانت تتابع سيدنا عمر ﷺ، فهو الراوي لحديث النية المشهور الذي بدأت به كل كتب الحديث الصحيحة، ويعتبر أصلاً في العلم.

بهذه الاستنباطات التي تضمنتها هذه الرسالة العمرية في القضاء، تتضح المهارات التي اتضحت في شخصية سيدنا عمر ﷺ في القضاء فناً وإدارةً، وتستحق هذه الرسالة الدراسة العصرية العميقة تحقيقاً وتحليلاً رغم ما كتب عنها إلا أن معانيها تتجدد، لأنها خرجت من منبع تربى صاحبه في جناب الرسول ﷺ الذي جاء بالقرآن ووصف خلقه به، فكان كل عمله مستنبطاً من معانيه، فكان رسول الله ﷺ قرآناً يمشي على الأرض، وفي جنابه تربى عمر.

الخاتمة

إن مواقف عمر الإدارية كثيرة وما ذكرته منها على سبيل المثال لا الحصر وهذا البحث إشارة إلى دلائل توضح منهج وعبقرية عمر في إدارته للدولة، وتميزت بها شخصيته ﷺ، ففي كل موقف نجد الرأي السديد، والتخطيط الاستراتيجي، الذي يستشرف المستقبل، ولا ينسى الماضي، ويضع الحاضر بين يديه. وهذا إن دلّ إنما يدل على قوة الشخصية الموهوبة، ومدى الاستفادة من تجارب الآخرين، ومهما كتب المرء عن شخصية عمر بن الخطاب ومنهجه المتميز في إدارة الدولة الإسلامية فلا يستطيع أن يوفيها حقها، ويكفيه فخراً أن الرسول ﷺ (سأل الله –عز وجل– أن يعز الإسلام بأحب الرجلين إليه: أبي جهل أو بعمر بن الخطاب)(١).

فكان من فضل الله على عمر أن كان أحب الرجلين إلى الله رحم الله عمر بن الخطاب رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء، ووفق القائمين على الشأن الإداري في سائر بلاد المسلمين لتتأسى بما كان في صدر الإسلام؛ ولا يمنع هذا من الأخذ بعلوم العصر ونظرياته.

نتائج البحث

١– إن الإدارة الإسلامية بلغت أوجها في عهد الخلافة الراشدة خاصة فترة عمر التي شهدت طفرات إدارية ومبادرات مبتكرة.

٢– إن بعض المؤسسات المالية الحديثة بنت فكرتها على نظام الدواوين الذي أنشأه عمر بن الخطاب ﷺ.

---

(١) الترمذي، ضبطه وراجعه عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبدالمحسن الكتبي، صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، مطبعة الاعتماد، بدون ذكر لتاريخ الطبعة ورقمها، ٢٩٢/٢.

٣- إن الصفات الخاصة والمهارات التي أودعها الله -سبحانه وتعالى- في الإنسان تعتبر عاملاً مؤثراً في شخصيته الإدارية بالإضافة للعلوم الإدارية المكتسبة (الإدارة علم وفن).

٤- إن إدارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للدولة تعتبر مثالاً يحتذى للحكام في هذا العصر.

٥- إن بعض أهداف الإدارة من مؤسسية، وشفافية وغيرها نلاحظها ظاهرة في إدارة عمر بن الخطاب ﷺ.

٦- توصيات البحث

٧- دراسة التاريخ الإسلامي دراسة موضوعية لإبراز الجوانب التي يحتاج إليها كل في مجال عمله.

٨- تأصيل الأعمال العصرية من خلال الأصول (القرآن والسنّة الصحيحة والسيرة النبوية المطهرة).

٩- تحليل مواقف بعض الشخصيات الإسلامية والاستفادة منها في الحياة اليومية.

١٠- ربط الناشئة بتاريخ الأمة المسلمة، والالتزام بهذا التاريخ خاصة في جوانب التطبيق والقدوة الحسنة.

١١- إبراز الأهداف الإدارية من خلال دراسة تاريخ المسلمين الأوائل مثل التخطيط والتنظيم وغيرها من العمليات الإدارية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

٢. السنة النبوية..

- صحيح البخاري منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- صحيح مسلم بشرح النووي للإمام محي الدين أبي زكريا يحيي بن شرف النووي ٦٣١ ــ ٦٧٦ هـ ط: مكتبة الإيمان المنصورة.

- سنن الترمذي ضبطه وراجعه عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبدالمحسن الكتبي، صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، مطبعة الاعتماد، بدون ذكر لتاريخ الطبعة.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل شرح حمزة أحمد الزين ط: ١ دار الحديث القاهرة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م.

- صحيح ابن حبان تأليف الحافظ الإمام العلامة أبي محمد بن حبان البستي ٣٥٤هـ ترتيب الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسي ٧٣٩هـ حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وحسين أسد الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

- سنن ابن ماجه شرح د. محمد ديب البغا، دار العلوم الانسانية دمشق.بدون تاريخ

- المستدرك على الصحيحين محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ط: ١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ ١٩٩٠ م.

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – نور الدين الهيثمي. دار الفكر – بيروت ١٤١٢ه.

٣.مصادر أخرى:

١. مختار الصحاح للشيخ الإمام: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الطبعة الأولى ط: دار الحديث القاهرة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

٢. فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. د علي محمد الصلابي – دار الفجر للتراث، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م

٣. تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري ج٢. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت -لبنان بدون تاريخ

٤. عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، محمد رضا. دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

٥. تزكية النفوس وتربيتها، أحمد فريد تحقيق الشيخ أحمد محمد النعمان. دار القلم – بيروت طبعة أولى ١٤٠٥ه / ١٩٨٥م.

٦. كنز العمال. المتقي الهندي – مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة ١٤٠١ه

٧. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، شيخ الإسلام ابن تيمية. وزارة الشؤون الإسلامية والاوقاف والدعوة والإرشاد. المملكة العربية السعودية طبعة أولى ١٤١٨ه

٨. أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر. الشيخ علي الطنطاوي، وناجي الطنطاوي. دار المنار للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

٩. تأسيس عمر بن الخطاب ﷺ للديوان، د. مصطفى فايدة، نقله من التركية مسعد سويلم، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

١٠. أخبار القضاة، محمد بن خلف. صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد الطبعة: الأولى، ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م (صورتها عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المدائن – الرياض) عدد الأجزاء: ٣

١١- إعلام الموقعين عن رب العالمين. ابن القيم دار الكتب العالمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م

١٢. الإدارة العامة مدخل إداري، د. السيد عبده ناجي – دار النهضة العربية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٣. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. ط (دار ابن خلدون – الاسكندرية ١٩٩٦م تحقيق حلمي محمد إسماعيل.

١٤. الإدارة (دراسة تحليلية للوظائف، والقرارات الإدارية)، د. مدني عبدالقادر علاقي، ط٦، مكتبة دار زهران، جدة، المملكة العربية السعودية ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١٥. أصول الإدارة في القرآن والسنة د. جميل جون أبو العينين ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان ٢٠٠٢م.

١٦.تاريخ الخلفاء، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق د. رحاب خضر، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.